طَرِيقُ الجَنَّةِ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

صلّى اللهُ على سيّدنا محمّدٍ وآله وصحبه وسلّمَ تسليماً.

قالَ العبدُ الفقيرُ المُضطرُّ لرحمة ربّه المُنكسرُ خاطرُهُ لقلّة العَمل والتّقوى المُشفقُ منْ خبث صنيعه عثمانُ بنُ محمّدُ بنُ عُثمانَ الفلاتيّ نسباً المالكيُّ مذهباً الأشعري اعتقاداً:

الحمدُ لله ربّ العالَمينَ والصّلاةُ والسّلامُ على رسول الله صلّى اللهُ عليه [وآله] وسلّمَ، أمّا بعدُ.

فهذا كتابُ طَريق الجنّة لخّصتُهُ منْ أسرار كلام أبي حامد الغزّالي رحمهُ اللهُ تعالى، فأقولُ وبالله التّوفيقُ:

يا أخي عليكَ أوّلاً وفّقكَ اللهُ بطلب العلم، وعليه المَدارُ. واعلَمْ أنّ العلمَ والعبادةَ جوهران لأجلهما أُنزلَت الكُتبُ وأُرسلَت الرُّسُل. لابدّ للعبد أنْ يكونَ لهُ منْ كلا الأمرَين نصيب، لكنّ العبادةَ لا تحصُلُ إلاّ بالعلم. فلزمَ إذنْ تقديمُ العلم النّافع.

ثمّ اعلمْ أنّ كلّ مَنْ طلبَ العلمَ ليصرفَ به وجوهَ النّاس إليه فتجارتُهُ بائرةٌ. طهّرْ قلبَكَ منْ غلّ وحسد وكبر ورياء وعُجب وحُبّ الدّنيا ليتحصّلَ لكَ العلمُ النّافعُ.

يا أخي إنَّ العُلومَ الَّتي طلبُها فريضةٌ على كلِّ مُسلمٍ ثلاثةٌ: علمُ التَّوحيدِ، وعلمُ الشَّريعةِ، وعلمُ السِّرِّ (نعني به ما يتعلَّقُ بالقلبِ ومساعيه). وأمَّا حدُّ ما يجبُ من كُلِّ واحدٍ منها فسَنُبيِّنُهُ إنْ شاءَ اللهُ.

فالَّذي يتعيَّنُ عليكَ فرضُهُ منْ علمِ التَّوحيدِ، مقدارُ ما تعرفُ به أُصولَ الدِّينِ ولا يلزمُكَ معرفةُ فروعِ علمِ التَّوحيدِ ودقائقه.

وأمَّا علمُ الشَّريعةِ فكُلُّ ما تعيَّنَ عليكَ فرضُ فعلِه، يجبُ عليكَ معرفتُهُ لتؤدِّيهُ؛ كالطَّهارةِ والصَّومِ والصَّلاةِ. وأمَّا الحجُّ والجهادُ والزَّكاةُ إنْ تعيَّنَ عليكَ وجبَ عليكَ علمُهُ لتؤدِّيهُ، وإلاَّ فلا.

وأمَّا الَّذي يتعيَّنُ فرضُه منْ علمِ السِّرِّ فمعرفةُ ما وجبَ وما نُهيَ ليحصُلَ تعظيمُ اللهِ والإخلاصُ والنِّيَّةُ وسلامةُ العملِ؛ وعامَّةُ ذلكَ يأتي في هذا التَّلخيصِ.

فهذا حدُّ ما يلزمُ العبدَ تحصيلُهُ منَ العلمِ لا محالةَ. كم مَن حصَّلَ ما وجبَ عليه من العلمِ في مدَّةٍ يسيرةٍ، وآخرُ مترددٌ في ذلكَ سبعينَ سنةً، والأمرُ كلُّه بيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

بابُ التَّوبةِ

ثمَّ عليكَ يا أخي بالتَّوبةِ لأمرَينِ؛ أحدُهما: ليحصُلَ لكَ توفيقُ الطَّاعةِ. فإنَّ شُؤمَ الذَّنبِ يُورثُ الحرمانَ، لأنَّ الذنبَ يقيِّدُ الإنسانَ عنِ الخيراتِ والنَّشاطِ في الطَّاعاتِ. والثَّاني منَ الأمرَينِ: إنَّما يلزمُكَ التَّوبةُ لتُقبَلَ عبادتُكَ، فإنَّ ربَّ الدَّينِ لا يقبلُ الهديَّةَ.

أمَّا ما يحملُكَ على التَّوبةِ فثلاثةٌ: ذكرُ قُبحِ الذُّنوبِ، وشدَّةُ عذابِ اللهِ،

وضعفُ جسمك. إذا واظبتَ على ذكرها ستحملُكَ على التَّوبة النَّصوح.

وأمّا حدُّ التَّوبة: فتربيةُ القلب عن الذُّنوب تَعظيماً لله عزّ وجلّ وتحذيراً من سَخَطه لا لرغبة دُنيويَّة أو رهبة منَ النَّاس أو طلب ثناء أو صيت أو ضَعف.

ثمَّ اعلمْ أنّ الذنوبَ في الجُملة ثلاثةُ أقسام: أحدُها تركُ واجبات الله تعالى منْ صلاة أو صَوم أو زكاة أو كفّارة أو غير ذلك، فتقضي ما أمكنكَ منها.

والثّاني ذنوبٌ بينَكَ وبينَ الله سُبحانَهُ، كشُرب الخَمر وضَرب المزامير وأكل الرِّبا وحو ذلكَ فتندمُ على ذلكَ وتُضمرُ في القلب على ترك العَوْد إلى مثلها أبداً.

والثّالثُ ذُنوبٌ بينَك وبينَ العباد وهيَ أصعبُ، وهيَ أقسامٌ، قدْ تكونُ في المال وفي النَّفس وفي العرض وفي الحُرمة وفي الدِّين، فتستحلُّ ما أمكنَكَ في كلِّ ما ذُكر، وما لمْ يُمكنْ رجعتَ إلى الله بالتَّضرُّع والصِّدق ليُرضيَهُ عنكَ يومَ القيامة. ثمَّ تذهبُ فتغسلُ ثيابَكَ فتغتسل وتصلّي أربعَ ركعات وتضعُ وجهَكَ على الأرض في مكان خال لا يراكَ إلاّ اللهُ سبحانَهُ وتعالى، ثمَّ تجعلُ التُّرابَ على رأسكَ وتُمرّغُ وجهَكَ الَّذي هوَ أعزُّ أعضائكَ في التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال وتذكرُ ذنوبَكَ واحداً واحداً ما أمكنَكَ وتلومُ نفسَكَ العاصيةَ وتُوبخُها وتقولُ: ألا تستحينَ يا نفسُ، أما آنَ لك أنْ تتوبي، ألك طاقةٌ بعذاب الله سُبحانَهُ وتعالى، ألك حاجةٌ بسَخَط الله عزَّ وجلّ، وتذكرُ منْ هذا كثيراً وتبكي. ثمَّ ترفعُ يديكَ إلى الرَّبِّ الرَّحيم وتقولُ: إلهي عبدُكَ الآبقُ رجعَ إلى بابكَ، عبدُكَ العاصي رجعَ إلى الصُّلح،

إلهي؛ عبدُكَ المُذنبُ أتاكَ بالعُذرِ فاعفُ عنّي بجُودكَ وتقبّلني بفضلك وانظرْ إليّ برحمتكَ. اللهمّ اغفرْ لي ما سلفَ منَ الذّنوبِ واعصمْني فيما بقيَ منَ الأجَلِ فإنّ الخيرَ كلّه بيدكَ وأنتَ بنا رؤوفٌ رحيمٌ.

ثمَّ تدعو بدعاء الشّدّة وهوَ:

«يا مُجليَ عظائمِ الأمورِ يا مُنتهى همّةِ المهمُومينَ. يا مَن إذا أرادَ أمراً فإنّما يقولُ لهُ كُنْ فيكونُ، احاطتْ بنا ذُنوبُنا وأنتَ المذْخُورُ لها، يا مذْخُوراً لكلّ شدّة كنتُ أدّخرُكَ لهذه السّاعة فتُبْ عليَّ إنّكَ أنتَ التّوّابُ الرّحيمُ».

ثمّ أكثرْ منَ البُكاء والتّذلُّل، وقلْ: يا مَنْ لا يشغلُهُ سمعٌ عَنْ سمعٍ يا مَنْ لا تُغلّطُهُ المَسائلُ يا مَنْ لا يُبرمُهُ إلحاحُ المُلحّينَ، أذقْنا بَرْدَ عفوكَ وحلاوةَ رحمتكَ إنّكَ على كلّ شيءٍ قديرٌ. ثمّ تُصلّي على النّبيّ صلّى اللهُ عليْ [وآله] وسلّمَ وتستغفرُ لجميعِ المؤمنين والمؤمنات. وترجعُ إلى طاعة الله عزّ وجلّ وتكونُ قدْ تُبتَ تَوبةً نصوحاً وقدْ خرجتَ منَ الذّنوبِ طاهراً، كيوم ولدتْكَ أمُّكَ، واحبّكَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى وادّخرَ لكَ منَ الأجرِ والثّوابِ، وأنزلَ عليكَ منَ البركةِ والرّحمةِ ما لا يُحيطُ به وصفُ واصفٍ، ويحصلُ لكَ الأمنُ والخلاصُ، وتجوتَ من غُصّة المعاصي وبليّتها في الدُّنيا والآخرة؛ واللهُ وليُّ التّوفيق والهداية بمنّه وفضله.

بابُ الزُّهد في الدُّنيا

ثمّ عليكَ يا أخي بالزُّهد في الدُّنيا لأمرَين: أحدُهُما لتستقيم عبادتُكَ وتكثُرَ فإنّ الرّغبةَ فيها يُشغلُكَ عن الله، إمّا ظاهرَكَ بالطّلب، وإمّا باطنَكَ بالإرادة وحديث النّفس، وكلاهُما يمنعُ عن العبادة، فإنّ النّفسَ واحدةٌ

والقلبُ واحدٌ. فإن اشتغلَ بشيء انقطعَ عنْ ضده. والثّاني منَ الأمرَين ليكثُرَ قيمةُ عملكَ.

فإنْ قلتَ: فما معنى الزُّهد في الدُّنيا وحقيقتُهُ؟

فاعلمْ: أنَّ الزُّهدَ زُهدان؛ زُهدٌ مقدورٌ للعبد، وزُهدٌ غيرُ مقدور.

والّذي هُوَ مَقدورٌ ثلاثةُ أشياء: تركُ طلبِ المفقودِ منَ الدُّنيا، وتفريقُ المَجموعِ منها، وتركُ إرادتها واختيارها.

وأمّا الزُّهدُ الّذي غيرُ مقدور للعبد فهوَ بُرودةُ الدُّنيا على قلبِ الزّاهد، لكنَّ ذلكَ مُقدّماتٌ لهذا. إنْ قدَرَ على تلكَ أورثته برودةَ الدّنيا على قلبه لأجلِ الله تَعالى وعظيم ثوابه.

ثمَّ اعلمْ أنَّ أصعبَ الأمور إنّما هُوَ تركُ الإرادة بالقلب، إذ كَمْ منْ تارك لها بظاهره، مُحبٌّ مريد لها بباطنه، لكنْ مَن استقامَ على الأوّلين فمأمولٌ منْ فضلِ الله سبحانَهُ وتَعالى أنْ يُوفّقَهُ لدفعِ هذه الإرادة والاختيارِ عنْ قلبه؛ فإنّهُ المُتفضّلُ الكريمُ عزّ وجلّ. ثمّ الّذي يبعثُ على الأوّلين: ذكرُ آفات الدُّنيا فالقولُ البالغُ في ذلكَ أنَّ الدُّنيا عَدُوّةُ الله عزّ وجلَّ، وأنتَ مُحبّهُ، ومَن أحبَّ أحداً أبغضَ عدوّه.

فإنْ قلتَ: فما حُكمُ الزُّهد في الدنيا ؟ أهو فرض أم نفل ؟ فاعلم : أن الزهد في الحرامِ فَرضٌ وفي الحلال نَفلٌ.

فإنْ قلتَ: فلابدّ لنا منْ قدْر منَ الدُّنيا ليكونَ قوامًنا، فكيفَ نَزهدُ فيها؟

فاعلم: أنّ الزُّهدَ يجبُ في الفُضول إذ هوَ ممّا لا يُحتاجُ إليه في قَوام البنية، فالمقصودُ القَوامُ والقوّة حتّى تعبدَ اللهَ تعالى لا الأكلُ والشُّربُ والتّلذُّذ. واللهُ تعالى إنْ شاءَ أقامَها بشيء وسبَب، وإنْ شاءَ أقامَها بغير سبب

كالملائكة. ثمَّ إنْ شاءَ بشيءٍ حاصلٍ عندَكَ وبطلبك أو كسبكَ، وإنْ شاءَ بشَيْءٍ غيرِهِ يسبِّبُهُ لكَ منْ غيرِ طلبٍ منكَ وكسبٍ، فإذنْ لا تحتاجُ بحالةٍ إلى طلبٍ وإرادةٍ فإنْ لمْ تقوَ على ذلكَ وطلبتَ وأردتَ، فانوِ بذلكَ القُوَّةَ على عبادةِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى دونَ الشَّهوةِ. وباللهِ التَّوفيقُ.

بابٌ

ثمَّ عليكَ يا أخي بالتفرُّدِ عن الخلقِ لأمرَيْنِ: أحدُهما أنَّهمْ يَشغلونكَ عن عبادةِ اللهِ سُبحانَهُ وتَعالى. والثَّاني يُفسدُونَ عليكَ ما يحصلُ منَ العبادةِ إن لمْ يعصمْكَ اللهُ سبحانَهُ بسببِ الرِّياءِ والتزيُّنِ لهُم.

واعلمْ يا أخي أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ [وآله] وسلَّمَ وصفَ زمانَ العُزلةِ وبيَّنَ نعتَهُ ونعتَ أهله وأمرَ فيه بالتَّفرُّدِ. وكانَ لا محالةَ أعلم بالمصالحِ وأنصحَ منّا لأنفُسنا.

ثمَّ إنَّ السَّلفَ الصَّالحينَ رضوانُ اللهِ عليهمْ أجمعينَ أجمَعوا على التحذيرِ من زمانهم وأهله وآثروا العُزلَةَ وأمرُوا بذلكَ وتَواصَوا به. ولا شكَّ أنَّهم كانُوا أبصرَ وأنصحَ وأنَّ الزَّمانَ لم يصرْ بعدَهُم خيراً بل أشرَّ وأمرَّ تراهُ بعينكَ.

فإنْ قلتَ: بيِّنْ لنا حكمَ العزلةِ والتَّفرُّدِ عنِ النَّاسِ والحَدَّ الَّذي يجبُ منهُ؟

فاعلمْ أنَّ النَّاسَ في هذا البابِ رجُلانِ: رجُلٌ لا حاجةَ للخَلقِ إليهِ في علمٍ وبيانِ حكمٍ، فالأولى بهذا الرَّجُلِ التَّفرُّدُ عنِ النَّاسِ فلا يُخالطُهُم إلاَّ في جُمعةٍ أو جَماعةٍ أو عيدٍ أو حجٍّ أو مجلسِ علمِ السُّنَّةِ أو حاجةٍ في معيشةٍ، وإلاَّ فلْيُوارِ شخصَهُ ويلزَمْ كِنَّهُ لا يَعرفُ ولا يُعرَفُ.

فإنْ أحبَّ أنْ ينقطعَ عنهُم البتّة لا يسعُهُ ذلكَ إلاّ بأمرين؛ إمّا أن يصيرَ إلى موضعٍ لا تلزمُهُ هذه الفرائضُ كرؤوسِ الجبال، وبُطونِ الأدوية.

وإمّا أنْ يتيقّنَ أنَّ الضّرورةَ الّتي تلحقُهُ في مُخالطة النّاس بسبب هذه الفرائض أعظمُ فيه منْ تركِها، ولكنَّ الطريقَ العدلَ فيه هوَ الأوّلُ؛ بأنْ يُشاركَ النّاسَ فيما أُمروا.

وأمّا الرّجلُ الثّاني فرجلٌ يكونُ قدوةً في العلم بحيثُ يَحتاجُ النّاسُ إليه في أمر دينهم لبيانِ حقٍّ، أو ردٍّ على مُبتدعٍ، أو دعوةٍ إلى خيرٍ بفعلٍ وقولٍ. فلا يَسَعُ هذا الرَّجلَ الاعتزالُ عن النّاسِ بل ينصبُ نفسَهُ بينَهُم ناصحاً لعبادِ الله، وذاباً عنْ دينِ الله تعالى، ومبيّناً لأحكام الله تعالى.

لكنْ يُحتاجُ إلى أمرَين في صُحبتهم؛ أحدُهما: علمٌ طويلٌ وصبرٌ طويلٌ ونظرٌ لطيفٌ واستعانةٌ بالله دائمةٌ. والثّاني: أنْ يكونَ مُتفرداً عنهُم وإنْ كانَ بالشّخصِ معهُم، ثمَّ يحتاجُ مع ذلكَ أنْ ينظرَ لنفسه حظّاً منَ العبادة الخالصة خاصّةً.

فإنْ قلتَ: ما تقولُ في مَدارسِ عُلماء الآخرة والكَون فيها؟

فاعلمْ: أنَّ تلكَ الطَّريقةَ هيَ الطَّريقةُ المُثلَى في هذا الشّأن لعامّة أهلِ العِلم والاجتهاد.

فإنْ قلتَ: ما حكمُ المُجتهد الّذي يُريدُ أنْ يَخرُجَ منْ عُلماء الآخرة ومدارسهم لصلاحٍ يراهُ في نفسه؟

فاعلمْ: أن هذه المدارس بمنزلة الحصن يتحصن بها المجتهد عن القطاع والسراق، وأنّ الخارجَ بمنزلة الصّحراء تدورُ فيها فُرسانُ الشّياطين. فإذنْ

ليسَ للضعيف إلاّ لزومُ الحصنِ. وأمّا الرجلُ القويُّ البَصيرُ الَّذي لا تغلبُهُ الأعداءُ واستَوى عندَهُ الحصنُ والصَّحراءُ فلا عليه إذا خرجَ، غيرَ أنّ الكونَ معَ الحصنِ أحوطُ على كلّ حال. فالكونُ مع رجالِ الله تعالى، والصَّبرُ على مشقّةِ الصُّحبةِ أولى لكنْ لا مانعَ للقويّ البالغِ مبلَغَ الاستقامةِ، عنِ التفرّدِ عنهُم.

فإن قلتَ: ما تقولُ في زيارةِ الإخوانِ في اللهِ عزّ وجلّ ومواصلةِ الأصحابِ في التَّلاقي والتَّذكّرِ؟

فاعلم: أنَّ ذلكَ من جواهرِ عبادةِ الله، لكنْ بشرطَين؛ أحدُهما: عدمُ الإكثارِ. والثّاني: تَجنُّبُ الرِّياءِ والتَّزيُّنِ، وقولِ اللَّغوِ والغيبةِ. أمّا ما يحملُكَ على العُزلةِ والتفردِ عن النَّاسِ ثلاثةُ أمورٍ؛ استغراقُ الأوقاتِ في العبادةِ، وقطعُ الطَّمعِ عنهُم، وما علمتَ من آفاتِهم، وباللهِ التَّوفيقُ.

بابُ مُحاربةِ الشَّيطانِ

ثمّ عليكَ يا أخي بمُحاربةِ الشَّيطانِ وقهرِه بخصلتَين؛ أحدُهما، لأنّهُ عدوٌّ لا يُقنعُهُ إلاّ هلاكُكَ. والخصلةُ الثّانيةُ: أنّهُ مجبولٌ على عَداوتِكَ ومنتصبٌ أبداً لمُحاربَتِكَ. كيفَ يكونُ الحالُ إذا كنتَ مُجتهداً في عبادةِ الله ودعوةِ الخلقِ إلى بابِ الله سُبحانَهُ وتَعالى بفعلكَ وقولكَ، وهذا ضدُّ صنيعِه كأنّكَ إذا شددتَ وسطَكَ لتُغائظَ الشَّيطانَ، فهوَ أيضاً يشُدّ وسطَهُ ليُقاتلَكَ.

فلهُ إذنْ معَ سائرِ النَّاسِ عَداوةٌ عامّةٌ ومعكَ عداوةٌ خاصّةٌ، ثمّ لهُ أعوانٌ عليكَ، أشدُّها نَفسُكَ وهَواكَ. ثمّ إنكَ مشغولٌ والشيطانُ فارغٌ. ثمّ إنّهُ يراكَ وأنتَ لا تراهُ، وأنتَ تَنساهُ وهوَ لا ينساكَ. فإذنْ لابدّ منْ مُحاربتِه وقهرِه، وإلاّ

فلا تأمنْ منَ الفَساد.

فإنْ قلتَ: بأيِّ شيءٍ أُحاربُ الشَّيطانَ وبأيِّ شيءٍ أقهرُهُ؟

فاعلمْ: أنَّ لذلكَ طَريقين، أحدُهُما: أنَّ التدبيرَ في دفعه الاستعاذةُ بالله تعالى، فإنَّ الشَّيطانَ كلبٌ سلَّطهُ اللهُ تعالى عليكَ، والثَّاني: القيامُ عليه بالدَّفعِ والمخالفة بعدَ الاستعاذة بالله، إذ هوَ الكافي شرَّهُ لا أنتَ.

ثمَّ اعلمْ أنَّ محاربتَهُ وقهرَهُ في ثلاثة أشياء: الأوَّلُ أن تُديمَ بذكرِ الله بلسانك وقلبك، والثَّاني أنْ تستخفَّ بدعوته، لا تُعلّق قلبَكَ بذلكَ ولا تتبعه، والثَّالثُ أنْ تعلمَ مكائدَهُ وحيلَهُ.

فإن قُلتَ: كيفَ نعلمُ؟

قلتُ: إنَّ مكائدَهُ ووساوسَهُ بمنزلة السِّهام الَّتي يرميها، ولهُ حيلٌ بمنزلة الشَّبكات الَّتي ينصبُها، تتبيَّنُ لكَ الوساوسُ بمعرفةِ الخواطرِ، وتتبيَّنُ لكَ الحيلُ بمعرفة المكائد.

وتلكَ الخواطرُ أربعةُ أقسام: قسمٌ من قبلِ الله تعالى بلا واسطة ويكونُ بالخير إكراماً وإلزاماً للحُجَّة، ويكونُ بالشَّرِّ امتحاناً وتغليظاً للمحنة، علامتُهُ أنْ يكونَ مُصمّماً في الوجهَين راتباً على حالة واحدة. وقسمٌ بواسطة مَلك لا يكونُ إلاّ بخير إذ هوَ ناصحٌ مُرشدٌ لمْ يرسَلْ إلاّ بذلكَ، علامتُهُ أن يكونَ مُتردّداً إذ هوَ بمنزلة ناصح يدخلُ معكَ في كُلّ وجه ويعرضُ عليكَ كلَّ نُصح رجاءَ إجابتكَ ورغبتكَ في الخَير.

وقسمٌ بواسطة شيطان لا يكونُ إلاّ بشرٍّ إغواءً، علامتُهُ أن يكونَ مُتردّداً مُضطرباً.

وقسمٌ بواسطة هَوى النَّفس لا يكونُ إلاّ بشرٌ وبما لا خَيرَ فيه تصنُّعاً ونعشُّفاً، علامتُهُ أنْ يكونَ مُصمِّماً ومائلاً إلى الشَّهواتِ واللَّذّاتِ كيفَ كانتْ.

ثمَّ للأقسامِ الأربعةِ علاماتٌ أُخرُ: ما كانَ بخيرٍ عقيبَ اجتهادٍ، أو كانَ بشرٌ عقيبَ ذنبٍ، فهوَ منَ الله، وما كانَ بشرٌ لكنَّهُ يضعُفُ بذكرِ اللهِ، أو كانَ بشرٌ مبتدئاً لا عقيبَ ذنبٍ، فهوَ منَ الشَّيطانِ، وما كانَ بخيرٍ مُبتدئاً فهوَ منَ المَلَكِ، وما كانَ بشرٌ لا يضعُفُ بذكرِ الله، فهوَ منْ هوى النَّفسِ.

ثمَّ موازينُكَ ثلاثةٌ إنْ أردتَ أنْ تُفرِّقَ بينَ خاطرِ الخيرِ مُطلقاً لتتَّبعَهُ، وخاطرِ الشَّرِّ مُطلقاً لتجتنبَهُ؛ الأوّلُ: الشَّرعُ ما وافقَهُ خيرٌ، والثّاني: اقتداءٌ بالصالحينَ ما وافقَهُ خيرٌ، والثّالثُ: عرضُ النَّفسِ على الخاطرِ، ما نفرَ طبعُهُ خيرٌ، وقد عرفتَ عكسَ كلِّ واحدٍ منها.

هذا أحدُ ما يلزمُكَ معرفتُهُ في الخواطرِ، وأنعمِ النَّظرَ فيها ما استطعتَ فإنَّها منَ العُلومِ اللطيفةِ والأسرارِ الشَّريفةِ واللهُ الموفِّقُ بفضلِه.

وأمّا حيلُهُ معكَ فسبعةُ أوجُهٍ:

الأوّلُ: أنْ ينهاكَ عنِ الطَّاعةِ، فارددْهُ إنْ عصمَكَ اللهُ بأنَّك محتاجٌ إلى تلكَ الطَّاعةِ لتتزوَّدَ منْ هذهِ الدُّنيا للآخرةِ الَّتي لا انقضاءَ لها.

والثّاني: أنْ يأمرَكَ بالتَّسويفِ، فارددْهُ إنْ عصمَكَ اللهُ بأنَّ أجلَكَ ليسَ بيدِكَ.

والثّالثُ: أنْ يأمرَكَ بالعجلةِ، فيقولُ لكَ عجِّلْ لتتفرَّغَ لكذا وكذا، فارددْهُ إنْ عصمَكَ اللهُ بأنَّ قليلَ العملِ معَ التَّمامِ خيرٌ منْ كثيرِهِ معَ النُّقصانِ.

والرَّابعُ: أنْ يأمُرك بإتمامه رياءً فارددْهُ إن عصمَكَ اللهُ بأنّ رؤيةَ الله عزّ وجلّ تكفيكَ.

والخامسُ: أنْ يوقعَكَ في العُجْب فيقولُ لكَ: ما أعظمَكَ وما أيقظَكَ، فارددْهُ إنْ عصمَكَ اللهُ بأنّ طاعتَكَ منّةٌ منَ الله دُونَك؛ ولولا فضلُ الله فما قيمةُ هذا العمل في جنب نعم الله تَعالى.

والسَّادسُ: وهوَ أعظمُها أنْ يقولَ لكَ: اجتهدْ في السِّرِّ فإنَّ اللهَ تعالى سيُظهرُهُ عليكَ، فارددْه إن عصمَكَ اللهُ بأنَّك عبدُ الله تعالى وهوَ سيِّدُكَ إن شاءَ أظهرَكَ، وإنْ شاءَ أخفَى، وإنْ شاءَ جعلَكَ خَطيراً وإن شاءَ جعلكَ حَقيراً، وذلكَ إليه، لا تُبالي إنْ أظهرَ ذلكَ للنَّاسِ أو لمْ يُظهِرْه، فليسَ بأيديهمْ شيءٌ.

والسَّابعُ: أنْ يقولَ لكَ لا حاجةَ إلى هذا العمل، فإنَّكَ إن خُلقْتَ سَعيداً لا يَضُرُّكَ تَركُهُ وإن كنتَ شَقيّاً لا ينفعُكَ فعلُهُ، فارددْهُ إنْ عصمَكَ اللهُ بأنَّكَ عبدٌ، وعلى العبد امتثالُ الأمر لعُبوديَّته، فالرَّبُّ أعلمُ بربوبيَّته، وذلكَ العملُ ينفعُكَ علَى كُلِّ حال، إن خُلقْتَ سَعيداً ينفعُكَ بزيادة الثَّواب، وإلاَّ لا يعاقبُكَ اللهُ على الطَّاعة بكُلِّ حال. ولا يضُرُّكَ على أنَّكَ إنْ دخلتَ النَّارَ وأنتَ مُطيعٌ أحبُّ إليكَ مِنْ أنْ تدخلَها وأنتَ عاص. وكيفَ تدخلُ النَّارَ ووعدُ الله حقٌّ، وقولُهُ صدقٌ، وقدْ وَعدَ على الطَّاعة بالثَّواب. فمَن لقيَ اللهَ تعالى على الإيمان والطَّاعة لمْ يَدخل النَّارَ البتَّةَ. واستحقاقُ الجنَّة بوعد الله الصَّادق لا بالعمل، ولهذا المعنى أخبرَ اللهُ تعالى ذلكَ بقوله: ﴿الحمدُ لله الذي صدقَنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنّة حيث نشاء﴾.

فتيقَّظْ يا أخي فإنّ الأمرَ كما ترى، واستعنْ بالله واستعذْ به فإنّ الأمرَ بيده، ومنهُ التَّوفيقُ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله العليّ العظيم.

بـــابُ مُجاهـــدَة النَّفـــس

ثمَّ عليكَ يا أخي بمُجاهدة النَّفس والحذر منها لأمرَين؛ أحدُهما: أنَّهُ عدوٌّ منْ داخلِ البيت، والثَّاني: أنَّهُ عـدوٌّ مَحبوبٌ والإنســانُ أعـمَى من عيب محبُوبه.

فإنْ قلتَ: ما علاجُ النفس؟

فاعلمْ أنْ ذلكَ طريقٌ بينَ طـريقَين تُقوّيها بقـدر ما تفعلُ الخيـرَ وتُضعفُـها وتحبـسُها على حدٍّ لا تتمادَى.

ثمَّ اعلمْ يا أخي تذلّل النَّفـسَ وتُكسِّر هَواها بثلاثة أشيـاء: منعُ الشَّهـوة، وحملُ أثقال العبادة، والاستعانةُ بالله، وإلاَّ فلا مَخلَص.

وبما ذكرْنا تتمكَّنُ أنْ تُلجمَها بلجامِ التَّقوَى.

ومنازلُ التَّقوَى ثـلاثةٌ: تقوى عنِ الشِّرك، وتقوى عنِ البـدعَة، وتقْوى عنِ المَعاصي.

وزادَ الغزالـيُّ: تقوى بمعنى اجتنابِ الفُضـول، وحدّ التَّـقوى اجتنابُ ما تخافُ منهُ ضرراً في دينك.

فإنْ قلتَ: فَصِّلْ لنا هذا المَعنى في النَّفس، لنعلمَ كيفَ نُلجمُ هذه النَّفسَ بالتَّقوَى؟

فأقولُ: إنَّـما تفصيلُهُ فـيها أنْ نقومَ بقـوّة العزمِ فتمنعُـها عنْ كلِّ معـصية، وتصونُها عنْ كلِّ فُضول.

وأمَّـا الَّذي لابدَّ منهُ أنْ نقـولَ: مَن أرادَ أن يتَّـقيَ اللهَ فـليُـراعِ الأعـضاءَ

الخمسة فإنهن الأصول وهي: العينُ والأذنُ واللسانُ والقلبُ والبطنُ، فليحترزْ عليها بالصيانة لها ممّا يخلفُ منهُ ضرراً في أمر الدِّين من معصية وحرام، وفضول وإسراف من حلال. فإذا حصل صيانةُ هذه الأعضاء فمرجوٌّ أن يكفي سائرَ أركانه، عليكَ بحفظ العين لاعتبار ثلاثة أمور؛ قوله عزّ وجلّ: ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم﴾ إلى آخره، وقولُهُ صلّى اللهُ عليه [وآله] وسلّم: «النَّظرُ في محاسنِ المرأة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، فمَنْ تركَها أذاقهُ اللهُ طعمَ عبادة تسرُّه». وكونُ العينِ خُلقتْ للنَّظرِ إلى ذات الله عزّ وجلّ.

ثمَّ عليكَ يا أخي بحفظ الأذن عن الغناء والفضول لأمرَين؛ الأوّلُ: مشاركةُ القائلِ في الذَّنب، والثّاني: تهييجُ الخواطر والوَساوس في القلب.

ثمَّ عليكَ يا أخي بحفظ اللسان فإنّهُ أشدّها جماحاً لاعتبار خمسة أمور؛ الأوّلُ: اعوجاجُ الأعضاء باعوجاجه، والثّاني: ضياعُ وقتكَ إنْ أرسلتَهُ. والثّالثُ: ذهابُ حسناتكَ إنْ أرسلتَهُ إلى الغيبة، إلى الّذي أوقعتَ الغيبةَ عليه، الرّابعُ: عدمُ السّلامة منْ آفات الدّنيا إن أرسلتَهُ، الخامسُ: استحقاقُ عذابِ الله إنْ كلّمتَ قولاً محظوراً.

فاحفظْهُ أيضاً منَ المُباح لأربعة أمور؛ الأوّلُ: شغلُ الكرام الكاتبينَ بما لا خيرَ فيه، والثّاني: إرسالُ الكتاب إلى الله عزّ وجلّ منَ اللغو والهذر، والثّالث: قراءتُهُ بينَ يدَي الجبّار يومَ القيامة، والرّابعُ: اللومُ والتّعيير.

ثمَّ عليكَ بحفظ القلب وإصلاحه فإنّهُ أعظمُ خطراً وأدقُّها أمراً وأشقُّها إصلاحاً لاعتبار خمسة أمور؛ الأوّلُ: قولُهُ تعالى: ﴿يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ ونحوُها، والثّاني: قولُهُ صلّى اللهُ عليه [وآله] وسلّم: «إنَّ الله

تعالى لا ينظرُ إلى صُوَرِكمْ وأبشارِكُمْ وإنّما ينظرُ إلى قُلوبِكُم»، والثّالثُ: أنّه ملكٌ والأعضاءُ تبَعٌ لهُ إذا صلُحَ صلُحتْ وإذا فسدَ فسدَتْ، والرّابعُ: إنَّ القلبَ خزانةُ كلِّ جوهرٍ كالعقلِ والعلمِ، فحقّ لمثلِ هذه الخزانة من أن تُصانَ عنِ الأدناسِ، والخامسُ: إن تأمّلتهُ تجدْ له خمسةَ أحوالٍ ليستْ لغيرِه؛ الأوّلُ لا يقصدُ الشّيطانُ والملَكُ إلاّ إليه، والثّاني: أنّ الشّغلَ لهُ أكثرُ وهو معتركُ العسكرينِ: الهوى وجنودُه، والعقلِ وجنودُه، وهو أبداً بينَ تجاربِهما، والثّالثُ: أنّ الخواطرَ له كالسّهامِ ولا تزالُ تقعُ فيه ليلاً ونهاراً لا تقدرُ على منعِها، والرّابعُ: أنّ علاجهُ عسيرٌ لأنّهُ غائبٌ عنكَ، والخامسُ: أنّهُ أسرعُ انقلابا منَ القِدْرِ في غلَيانها.

فإن قلتَ: إنّ أمرَ هذا القلبِ لَمُهمٌّ جداً، فأخبِرْنا عنِ المعاني التي تُصلحهُ وعنِ الآفاتِ الّتي تُفسدهُ عسَى أنْ يوفّقَ اللهُ للاجْتهادِ في العملِ بذلكَ.

فاعلمْ أنّ علماءَ الآخرةِ قدْ ذكروا منْ نحوِ سبعينَ خصلةً محمودةً وتحتَها أضدادُها مذمومةً.

قالَ الغزاليُّ: «لعَمري إنّ مَنْ أهمّهُ أمرُ دينِه وانتبَهَ منْ رقدةِ الغافلينَ ونظرَ لنفسه فلا يكونُ تحصيلُ جميعِ ذلكَ عليه عسيراً والعملُ به كثيراً إذا وفّقهُ اللهُ تعالى. ونحنُ نذكرُ لكَ الآنَ أربعةً لابدّ من ذكرِها في علاجِ القلبِ فهي منْ مداحضِ العابدينَ، وأربعةٌ في مُقابلاتها فيها انتظامُ العبادةِ وإصلاحُ القلبِ.

فالآفاتُ الأربعُ: الأملُ والاستعجالُ، والحسدُ، والكبرُ، فهذه أصلُ فسادِ القلبِ. وأمّا المناقبُ الّتي هي أضدادُها: فقصَرُ الأملِ، والتأنّي في الأمورِ، والنّصيحةُ للخلقِ، والتّواضعُ؛ فهذا أصلُ صَلاحِ القلبِ. فابذُلِ المجهودَ في

التَّحرُّزُ منْ تلكَ، والتَّحصيل لهذه فتكفى المُؤَنَ، وتظفرَ بالمقصود إنْ شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ.

أما حدّ الأملِ فلإرادة الحياة للوقت المُتراخي بالحكم وهوَ الأملُ، والمعنَى الرَّاتبُ في القلبِ الباعثُ على الإقدام على الأمر بأوّل خاطر دونَ التَّوقُّف فيه، هوَ العجلةُ. إرادةُ زَوال نعَم الله تعالى عنْ أخيكَ المُسلم هوَ الحسدُ. والخاطرُ في رفع النَّفس واستعظامها هوَ الكبْرُ، واتِّباعُهُ هوَ التَّكبُّرُ. وعكسُ حدّها أضدادُها الحسنةُ.

فاحذرْ يا أخي غايةَ الحذر لأنّكَ إنْ طوّلتَ أملكَ هاجَ لكَ أربعةُ أشياء؛ الأوّلُ: تركُ الطّاعة لأنّكَ تقولُ: سوفَ أفعلُ والأيامَ بينَ يديَّ، والثّاني: تسويفُ التّوبة لأنّكَ تقولُ: سوفَ أتوبُ وفي الأيّام سَعةٌ وأنا شابٌّ وسنّي قليلٌ، والثّالثُ: الحرصُ على الجمع والاشتغالُ بالدُّنيا عن الآخرة، لأنّكَ تقولُ: أخافُ الفقرَ في الكبر وربّما أضعفُ عن الاكتساب، ولابدَّ لي منْ شيء أدّخرُهُ لهرم، والرّابعُ: القسوةُ في القلب، لأنّكَ إذا طوّلتَ الأملَ لا تذكرُ الموتَ والقبرَ. وبفقد الأمل تحصلُ أضدادُها الحسنةُ.

وأمّا الاستعجالُ فهوَ المُوقعُ في المعاصي، لهُ أربعُ آفات أيضاً:

أحدُها: أنْ يقصدَ العابدُ منزلةً في الخير والاستقامة ويجتهدَ، فربّما يستعجلُ في نَيلها وليسَ ذلكَ بوقتها؛ فإمّا أنْ يفترَ وييأسَ ويتركَ الاجتهادَ، فيُحرمُ تلكَ المنزلةَ؛ وإمّا أنْ يغلُوَ في الجهد وإتعاب النَّفس فينقطعُ عنْ تلكَ المنزلة، فهوَ أبداً بينَ إفراط الزِّيادة وتفريط النُّقصان، وكلاهُما نتيجةُ الاستعجال.

والثّانيةُ: أنْ يكونَ للعابد حاجةٌ فيدعُو اللهَ تعالى فيها ويُكثر الدُّعاءَ، فربّما

يستعجلُ الإجابةَ قبلَ وقتِها فلا يجدُها فيفترُ ويسأمُ فيتركُ الدُّعاءَ فيُحرَمُ حاجتَهُ.

والثَّالثةُ: أنْ يظلمَهُ إنسانٌ فيغيظُهُ فيُعجِلُ في الدُّعاء عليه فيهلكُ مُسلمٌ بسببه وربّما يتجاوزُ عن الحدّ فيقعُ في معصية.

والرَّابعةُ: أصلُ العبادة (الورَعُ) إذا كانَ الرَّجلُ مُستعجلاً كانَ واقعاً في أكلِ الطَّعامِ الحرامِ أو الشُّبهة فيفوتُهُ الورَعُ.

وأمّا الحسدُ فإنّهُ المُفسدُ للطاعات والباعثُ على الخطايا وإنّهُ الدَّاءُ العُضالُ الَّذي يُبتلى به الكثيرُ، القُرّاءُ والعُلماءُ فضلاً عنِ العامّة والجُهّال. ثمّ إنّه يهيّجُ خمسةَ أشياء؛ الأوّلُ: إفسادُ الطّاعات، والثّاني: فعلُ المعاصي، والثّالثُ: التّعبُ بلا فائدة، والرّابعُ: عمى القلب، والخامسُ: الحرمانُ.

وأمّا الكبرُ فإنّهُ الخصلةُ المُهلكةُ رأساً وليسَ هيَ بمنزلة سائرِ الخصالِ الّتي تضرُّ بفُروعٍ، إنّما تضرُّ هيَ بالأصلِ. ثمَّ إذا قويَتْ وغلَبَتْ فلا تداركَ والعياذُ بالله تعالى، يَهيجُ منها أربعُ آفات؛ أحدُها: حرمانُ الحقّ، وعمى القلبِ عنْ معرفةِ آيات الله لقوله تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ﴾. والثّانيةُ: بغضُ الله، والثّالثةُ: الخزيُ في الدُّنيا، والرَّابعةُ: النَّارُ والعذابُ في العُقبى.

فهذه بعضُ ما أحضرْنا في الخصال الأربع من الآفات، واحدةٌ منها كفَت العاقلَ فضلاً عنِ الكُلِّ إذا أهمَّهُ أمرُ دينه، واللهُ المُوفّقُ لرَحمته.

بـاب

ثمَّ عليكَ يا أخي بحفظ البطنِ عنِ الحرامِ والشُّبهة أوّلاً، ثمَّ عنِ الفضُول

ثانياً، إن كانَ لك همةٌ في عبادة الله. إنّما يَلزمُك بحثُ الحرام والشُّبهة أوّلاً لثلاثة أمور؛ أوّلُها: حذَراً من نار جهنّمَ، والثّاني: آكلُهما مطرودٌ لا يوفّقُ للعبادة، والثّالثُ: آكلُهُما مَردودٌ غيرُ مقبول.

وأمّا فُضولُ الحلال فلهُ عشرُ آفات وهيَ: قسوةُ القلب، وفتنةُ الأعضاء، وقلّةُ فهم العلم، وقلّةُ العبادة، وفقدُ حلاوة العبادة، وخطرُ الوقوع في الشُّبهة والحَرام، وشَغلُ القلب والبدن، وشدّةُ سكرات الموت، ونُقصانُ الثّواب في العُقبى والحَبسُ في الحساب. فهذه عشرةٌ في أحدها كفايةٌ بالغةٌ.

بابٌ في الاحتياط

يا أخي عليكَ بالاحتياط في القُوت كيلا تقعَ في الحرام أو الشُّبهة، ثمّ اقتصرْ منَ الحلال على ما يكونُ عُدّةً على عبادة الله.

فإنْ قلتَ: ما الحرامُ والشُّبهةُ؟

فاعلمْ أنّ بعضَ العُلماء قالَ: ما تيقّنتَ كونَهُ ملكاً للغير منهيّاً عنهُ في الشّرع فهُوَ حرامٌ محضٌ؛ وأمّا إذا لمْ يكُن لكَ يقينٌ بذلكَ ولكنْ يغلبُ على ظنك أنّهُ كذلكَ، فهوَ شُبهةٌ.

فقالَ آخرونَ: الحرامُ المحضُ ما يكونُ به علمٌ أو غالبُ ظنٍّ، أما إذا تساوت الأمارتان حتّى تبقَى شاكّاً لا يكونُ لأحدهما ترجيحٌ عندك فذلكَ شُبهةٌ، فهذا أولَى القولَين عندَ الغزاليّ.

ثمّ الامتناعُ عن الحرام واجبٌ، وعن الشُّبهة تقوى وورَعٌ. فإنْ قلتَ: ما تقولُ في قُبول جوائز السّلاطين في هذا الزّمان؟

فاعلمْ أنَّ العُلماءَ اختلَفُوا فيه فقالَ قومٌ: كلّ ما لا يتحقّقُ أنّهُ حرامٌ فلهُ أخذُهُ، وقالَ آخرونَ: لا يحلُّ أنْ يؤخذَ ما لا يتحقّقُ أنّهُ حلالٌ، لأنّ الأغلبَ عليهم الحرامُ، وقالَ آخرونَ: يحلّ للغنيِّ والفقيرِ إذا لمْ يتحققْ أنّها حَرامٌ، فلهُ أخذُه، وإنّما التبعةُ على المُعطي.

وقالَ آخرونَ: لا يحلّ منْ أموالهمْ شيءٌ للغنيِّ والفقيرِ لأنهم ظالمونَ والغالبُ على مالهم الحَرامُ، والحُكم للغالبِ فيلزمُ الاجتنابُ.

وقالَ آخرونَ: ما لا يتيقّنُ أنّهُ حَرامٌ، فهوَ حلالٌ للفقيرِ دُونَ الغنيِّ، إلاّ أنْ يعلمَ الفقيرُ أنّ ذلكَ عينُ الغَصبِ.

قال الغزاليُّ: ما حُكمُ قُبولِ صلاتِ أهلِ السُّوقِ وغيرِهم؟

فالجوابُ: مَنْ كانَ ظاهرُهُ الصَّلاحُ فلا حَرجَ في قُبولِ صَدقتِه وإلاّ فَلا.

فاعلمْ أنّ ههُنا شيئين؛ حكمُ الشَّرعِ: وهوَ أنْ تأخذَ ما أتاكَ ممّنْ ظاهرُهُ الصَّلاحُ ولا تسألَ إلاّ أنْ تتيقّنَ أنّهُ غَصبٌ أو حَرامٌ بعينه، وحكمُ الوَرَعِ: وهوَ أنْ لا تأخُذَ منْ أحدٍ شيئاً حتّى تبحثَ عنهُ غايةَ البحثِ فتستيقنَ أنّهُ لا شُبهةَ فيهِ بحالٍ وإلاّ فتردّه.

فإن قلتَ: خالفَ الورَعُ الشَّرعَ وحُكمَهُ.

فاعلمْ أنّ الشَّرعَ موضوعٌ على اليُسرِ، والورَعُ موضوعٌ على التَّشديدِ والاحتياطِ. ثمَّ الورَعُ منَ الشَّرعِ أيضاً، وكلاهُما في الأصلِ واحدٌ لكنَّ للشَّرعِ حُكمان: حُكمُ الجوازِ، وحُكمُ الأفضلِ الأحوطِ. والأوّل حُكمُ الشَّرعِ، والثّاني حُكمُ الورَعِ.

فإنْ قلتَ: إذا جاوزَ البحثُ عنْ كلِّ شيءٍ تعذّرَ الأمرُ على صاحبِ الوَرَعِ إذْ لابدّ من بلاغٍ يُبلغهُ إلى الطّاعةِ.

فاعلمْ أنّ طريقَ الورَع شديدٌ وأنّ مَنْ قصدَ سُلوكَهُ فشَرطُهُ أنْ يصبرَ على احتمال الشدَّة، وإلاّ فلا يتمُّ لهُ ذلكَ. ولذلكَ صارَ كثيرٌ منْ أهلِ الورَعِ إلى جبلِ لبنانَ وغيره فاقتصَروا على أكلِ الحَشيش وثمرات لا شُبهةَ فيها بحال وفاسلكْ طريقَتَهُم إنْ أردتَ منزلةَ الورع الأعلى. وأمّا إنْ أقمتَ بينَ النَّاس وتأكلُ ممّا يتداولونَهُ ممّا في أيديهم فليكنْ ذلكَ بمنزلة الميتة لا تتناولُهُ إلاّ عندَ الضَّرورَة، وذلكَ بمقدار ما يُبلغكَ إلى الطَّاعة.

فإنْ قلتَ: ما الحلالُ وما حدُّ الفُضول الَّذي يلزَمُ منهُ الحِسابُ والحبسُ، وما المقدارُ الَّذي إذا أخذَهُ العبدُ يكونُ ذلكَ أدباً؟

فاعلمْ أنَّ أحوالَ المُباحِ ثلاثةُ أقسام: أحدُها: أنْ يأخذَ العبدُ التَّفاخُرَ والتَّكاثُرَ والرِّياءَ، وهذا مُوجبٌ عذابَ النَّار العظيمَ. والقسمُ الثَّاني: أنْ يأخذَ الحلالَ لشهوة نفسه، وهذا موجبٌ حساباً وحَبْساً. والقسمُ الثَّالثُ: أنْ يأخذَ منَ الحلال في حالِ العُذر قدرَ ما يستعينُ به على عبادة الله تَعالى، وهذا خيرٌ وحسنةٌ وأدبٌ ولا حسابَ عليه ولا عقابَ، بل لهُ أجرٌ ومدحةٌ.

ثمَّ الاستقامةُ على حفظ هذا الأدب يحتاجُ إلى بَصيرة، وقصد بأنه لا يأخذُ منَ الدّنيا بحال إلاّ للعُدّة على عبادة الله تَعالى. ثمَّ إنّه إنْ سَها عنْ ذكر الحجّة في حال أجزَأهُ ذلكَ القصدُ المُجمَلُ.

عليكَ يا أخي ببذل المجهود في هذه الأقسام الأربعة بالحذر منها دنياً وخَلْقٌ وشيطانٌ ونفسٌ. وإنَّما هلكَ كل من هلك بسبب هذه الأقسام.

ثمَّ اعلمْ أنَّ ههنا أصْلاً وهوَ أنّ العبادةَ شَطران: فعلُ الطَّاعة، واجتنابُ المعاصي. همّةُ المُبتدئينَ أنْ يصوموا نهارَهم ويقوموا ليلَهُم، وهمّةُ أولي

البصائر أنْ يحفظُوا قلوبَهُم عنِ المَيلِ إلى غيرِ الله، وبطونَهُم عنِ الفُضول، وألسنتَهُمْ عنِ اللّغوِ، وأعينَهُم عنِ النّظرِ إلى ما لا يَعنيهم.

فإذا علمتَ أنّ جانبَ الاجتنابِ أولَى، مَن حصلَ لهُ شطران، فسالمٌ غانمٌ وإنْ لمْ تبلُغْ إلاّ إلى أحدهما فليكنْ ذلكَ الاجتنابُ فتسلَم إنْ لمْ تغنمْ، وإلاّ خسرتَ الشّطرين جَميعاً.

بـــابٌ في العوارض الشاغلة عن الله

ثمّ عليكَ يا أخي بكفايةِ العوارضِ الشاغلة عنْ عبادة الله تعالى، وتلكَ العوارضُ أربعةٌ: الرِّزقُ، والأخطارُ، والقضاءُ، والمصائبُ معَ الشّدائد.

العـــارضُ الأوّلُ : الـــرِّزقُ

وكفايةُ الرِّزقِ التّوكُّلُ. فعليكَ بالتّوكُّلِ علَى الله سُبحانَهُ في موضعِ الرِّزقِ والحاجةِ بكُلِّ حالٍ لأمريْنِ: أحدُهما: للتفرّغِ للعبادة، والثّاني: لما في تركه منَ الخَطَرِ العظيمِ. لأنّ اللهَ دلّنا على أنّ الرِّزقَ كالخَلقِ أي لقوله تعالى: ﴿والله خلقكم ثم رزقكم﴾ حتّى وعَدَ أي لقوله تعالى: ﴿وما من دابّة في الأرض إلاّ على الله رزقها﴾.

ثمّ لمْ يكتفِ بالوعدِ حتّى ضَمِنَ، لقوله تعالى: ﴿توكلوا على الله إن كنتم مؤمنين﴾.

ثمّ لمْ يكتفِ بالضّمانِ حتّى قَسَمَ، لقوله تعالى: ﴿فوربِّ السماء والأرض إنّه لَحقٌّ مثل ما أنّكم تنطقون﴾، ثمّ لمْ يكتفِ بذلكَ حتّى أمَرَ وأبلغَ وأنذرَ.

ثمّ إنّ المُتوكِّلَ يقصدُ الأمورَ على قوّةِ بَصيرةٍ وكمالِ يقينٍ بوعدِ الله سُبحانَهُ، فلا يلتفتُ إلى إنْسانٍ يخوِّفُهُ أو شَيطانٍ يُوسْوِسُهُ.

ألا تنظرْ يا أخي إلى أصحاب الهمم منْ أبناء الدّنيا؟ أمّا المُلوكُ فباشَرُوا الحُروبَ، إمّا مُلكٌ وإمّا هُلكٌ. وأمّا التُّجّارُ فيطرحونَ أنفُسَهُم على أحد الأمرَينْ: إمّا فواتُ الأرواح، وإمّا حُصولُ الأرباح. وأمّا أبناءُ الآخرَة، فرأسُ أموالهم التّوكُّلُ لما أحكَمُوه، تفرّغُوا لعبادة الله تعالى وتمكّنوا منَ التّفرُّد عن الخَلق واقتحمُوا الفيافيَ، وهمْ مُلوكُ الأرضِ يَسيرونَ حيثُ شاءوا كلُّ الأماكن عندَهُم واحدٌ، وكلُّ الأزمان عندَهُم واحدٌ.

وأمّا التّوكّلُ أنْ تعلمَ أنّ قَوامَ بِنيتكَ منَ الله عزّ وجلّ لا بأحدٍ دونَ الله ولا بحُطام منَ الدّنيا ولا بسَببٍ منَ الأسباب. وأمّا الباعثُ عليه ضَمانُ الله تعالى وكمالُ علمه وقُدرته وتنزّهه عن الخلق والسّهو والعجز.

وأمّا موضعُهُ فثلاثةُ مواضعَ: موضعُ النُّصرة، وموضعُ الرِّزق والحاجة، وضَمانُ الله في هذا الموضع لكَ بما يُقيمُ بنيتَكَ لتعبُدَهُ. واعلمْ أنّ الرِّزقَ أربعةُ أقسام: مضمونٌ وهوَ الغذاءُ وما به قَوامُ البنية دونَ سائر الأسباب، ومقسومٌ، ومملوكٌ، وموعودٌ.

وأمّا المقسومُ: ما كُتبَ في اللّوح بأنّ هذا ما يأكلُهُ فُلانٌ وما يشربُهُ، وهذا ما يلبسُهُ بوقت مؤقّت لا يزيدُ ولا ينقُصُ.

وأمّا المملوكُ: فما يملكُهُ كلّ واحد منْ أموال الدُّنيا على حسب ما قدّرَ اللهُ تعالى.

وأمّا الموعودُ: فهوَ ما وعدَ اللهُ تعالى للمتّقينَ بشرط التّقوى حلالاً منْ غير كدٍّ.

فإنْ قلتَ: هلْ يلزمُنا طلبُ الرِّزق بحال؟

فاعلمْ أنّ الرِّزقَ المضمونَ الَّذي هوَ الغـذاءُ والقوامُ، فلا يمكنُنا طلبُهُ إذْ هوَ فعلُ اللهِ سبحانَهُ بالعبدِ كالحياةِ والموتِ.

فأمّا المقسومُ فلا يلزمُ طلبُهُ إذْ لا حاجةَ للعبدِ إلى ذلكَ، إنّما حاجتُهُ إلى المضمونِ وهوَ منَ اللهِ تعالى في ضمانِ اللهِ تَعالى.

فإنْ قلتَ: هلْ لهذا الرِّزقِ المضمونِ أسبابٌ، هل يلزمُنا طلبُ السَّببِ؟

فـاعلمْ أنّ ذلكَ لا يلزمُ إذِ اللهُ سُبحانَـهُ يفعلُ بسببٍ وبغيرِ سببٍ، فـمَن يُلزمُنا طلبَ السَّببِ؟

ثمّ إنّ اللهَ تعالى ضمنَ لنا مُطلقاً منْ غيرِ شرطِ الطَّلبِ والكَسبِ فقدْ تَبيّنَ لكَ أنّ طلبَ الرِّزقِ وأسبابِه ليسَ بأمرٍ لازمٍ.

فإنْ قلتَ: هلْ أدخُلُ الباديةَ بلا زادٍ؟

فاعلمْ: إنْ كـانَ لكَ قوةُ القَلبِ بـاللهِ وثقةٌ بالغـةٌ بوعدِ اللهِ تعـالى فادخلْ وإلاّ فكنْ كالعَوامِّ، لأنّ مَنْ جَرى معَ اللهِ عـلى عادةِ النَّاسِ، جرَى اللهُ تعالى على ما هوَ عندَهُ.

فإنْ قلتَ: فالمُتوكّلُ هلْ يحملُ الزَّادَ معَهُ في الأسفارِ؟

فاعلمْ أنّهُ ربّما يحـملُ الزَّادَ ولا يعلق القلب به ، فإنه لا محالة رزقـة وفيه قوامه ، إنمـا يعلق القلب بالله تعالى ، وربما يحمل الزاد بنيّـة أُخرى بأنْ يُعينَ مُسلماً ونحو ذلكَ. وليسَ الشّأنُ في أخذِ الزَّادِ وتركِه، إنّما الشّأنُ في القلبِ.

فإن قلتَ: فأيُّهما أفضلُ: أخذُ الزَّادِ أم تركُهُ؟

فـاعلمْ إنْ كنتَ منفـرداً قويَّ القلبِ باللهِ فـالتَّركُ أولَى، وإنْ كانَ لإعـانةِ المُسلمينَ فالأخذُ أولى، وباللهِ التَّوفيقُ.

العـارضُ الثَّانـي : الأخطـارُ

وإنّما كـفايتُـها بالتَّفـويض، فعليكَ بتـفويض الأمـر كلّه إلى الله سُـبحانَهُ لأمـرين؛ أحدُهمـا: طمأنينةُ القـلب، والثّاني: حصولُ الصّلاحِ والخيرِ في الاستقبال.

فإنْ قلتَ: بيّنْ لنا معنَى التّفويض وموضعَهُ؟

فاعلم أنّ التّفـويضَ إرادةُ أنْ يحفظَ اللهُ عليكَ مصالحَكَ فيمـا لا تأمنُ فيه الخطرَ. وأمّـا موضعُهُ في النّوافلِ والمُبـاحات فليسَ لكَ أن تُريدَها قطعاً بل بالاستثناء وشـرط الخير والـصّلاح، فـإن قيـدتَ إرادتَكَ بالاسـتثناء فهـوَ تفويضٌ. وأمّا الباعثُ عليه، ذكرُ خطرِ الأمـور وإمكانُ الهلاك والفسـادَ فيها، والباعثُ على ذكرِ عجزِكَ عن الاعتصامِ عن ضُروبِ الخَطر.

فإنْ قلتَ: ما الخطرُ الّذي يُوجبُ التّفويضَ؟

فاعلمْ أنَّ الخطرَ خَطران؛ خطرٌ تشُكُّ بأنّهُ يكونُ أو لا يكونُ، أو أنّكَ تصلُ إليه أولاً، فهذا يحتاجُ إلى الاستثناء في بابِ النيّة والأمل. وخطرُ الفساد بأنْ لا تَستيقنَ فيه الصّلاحَ لنفسكَ وهذا الّذي تحتاجُ فيه التّفويضَ.

فإن قلتَ : هلْ يأمنُ المُفوّضُ الهلاكَ والفسادَ والدّارُ دارُ محنة؟

فاعلمْ: أنَّ الأغلبَ لا يفعل بالمفوّض إلاّ الصلاحَ العارضَ.

العـارضُ الثّالـثُ : القضـاءُ وأنواعُـهُ

وإنّمـا كفـايتُهُ بالرِّضى، فـعليكَ أنْ تَرضى بقـضاء الله تـعالى لأمـرين، أحدُهُما: التّفـرّغُ لعبـادة الله لأنّكَ إذا لمْ تَرضَ بالقـضاء تـكونُ مَهـموماً

مشغولَ القلبِ أبداً بأنّهُ لِمَ كانَ كـذا، ولِمَ لا يكونُ كذا. والثاني: خطرُ ما في السَّخطِ منْ غضبِ الله سُبحانَهُ وتعالَى.

فإنْ قلتَ: ما معنَى الرِّضَى بالقضاء؟

فاعلمْ أنّ الرِّضى تركُ السَّخَطْ، والسَّخَطُ ذكرُ غيرِ ما قضَى اللهُ بأنّهُ أولَى وأصلَحُ لهُ، فيما لا يُستَيقَنُ فسادُهُ وصلاحُهُ، هذا شرطٌ فيه.

فإنْ قلتَ: أليسَ الشرُّ بقضاءِ الله تعالى، فكيفَ يرضَى العبدُ الشرَّ؟

فاعلمْ أنَّ الرِّضى إنّما يلزمُ بالقضاء، وقضاءُ الشرِّ ليسَ بشرٍّ وإنّما الشرّ هوَ المَقضيُّ. ثمَّ المقضيّاتُ أربعةٌ: نعمةٌ وشدَّةٌ وخيرٌ وشرٌّ. فالنِّعمةُ يجبُ الرِّضَى فيها بالقاضي والقضاءِ والمَقضيِّ، وعليه الشكرُ منْ حيثُ إنّهُ نعمةٌ. والشدَّةُ يجبُ الرِّضى فيها بالقاضي والقضاءِ والمَقضيِّ، وعليه الشكرُ منْ حيثُ إنّهُ نعمةٌ. والشدَّةُ يجبُ الرِّضى فيها بما ذُكِر وعليه ذكرُ المنّةِ من حيثُ إنّهُ خيرٌ. والشرُّ يجبُ الرِّضى فيه بما ذُكرَ لكنَّ رضاهُ بالمَقضيِّ منْ حيثُ إنّهُ شرٌّ. ثمَّ اعلمْ أنّ هذه الأمورَ إنّما تكونُ بالقلبِ العارض.

العارضُ الرّابعُ : الشَّدائدُ والمصائب

وإنّما لغايتها بالصَّبر، فعليكَ بالصَّبرِ في المواطنِ وإنّما ذلكَ لأمرَيْن:

أحدُهُما: للوصول إلى العبادة، لأنَّ مَبنى أمرِ العبادة كله على الصَّبر. وذلكَ أنَّ مَنْ قَصَدَ عبادةَ الله تعالى وتجرَّدَ لها استقبلَتْهُ عوارضُ وشدائدُ ومحنٌ ومَصائبُ؛ بل العبادةُ نفسُها مشقَّةٌ . إذ لا يتأتّى فعلُ العبادة إلاّ بقمعِ النَّفس، وقهرُ النَّفسِ منْ أشدِّ الأمور. ثمَّ يلزمُ الاحتياطُ مع ذلكَ لئلاّ يفسُدَ. والإبقاءُ على العَملِ أشدّ منَ العمَلِ. ثمّ إنَّ الدارَ دارُ محنةٍ لابدَّ من الابتلاء

بأقسام الشّدائد والمصائب، كموت الأهلِ والقرابات والإخوان والأصحاب. وابتلاء النَّفس بالأمراض والأوجاع وقتال النَّاس.

إيّاكَ والطَّمعَ فيكَ، والغيبةَ لكَ، والكَذِبَ عليكَ، وذهابُ مالكَ لكلِّ واحدة منْ هذه المصائب لدْغةٌ.

ثمَّ إنَّ طالبَ الآخرَة أشدّ ابتلاءً، مَن كانَ إلى الله تعالى أقربُ، فالمصائبُ لَهُ في الدُّنيا أكثرُ.

يا أخي إنْ أردتَ قطعَ طريق الآخرة، فاجعلْ في نفسكَ أربعةَ ألوان: الموتُ الأبيضُ وهوَ الجُوعُ، والأحمرُ وهو مخالفةُ الشّيطان، والأسودُ وهوَ ذمّ النَّاس، والأخضرُ وهوَ الوقائعُ بعضُها على بَعض.

والثَّاني منَ الأمرين لما في الصّبر منْ خَير الدّنيا.

يا أخي عليكَ بقطعِ هذه العَوارض الأربعة، وإلاّ فشغلُ واحد منها يمنعُكَ عن العبادة. ثمّ أعظمُها وأعضلُها، أمرُ الرِّزقَ إذ هوَ الَّذي صَرَفَ قولَ عامّة الخَلق عنْ باب الله، ولمْ تزل الأنبياءُ والعُلَماءُ يَعظُونَ، وهم معَ ذلكَ لاَ يهتدُونَ بلْ لا يزالُونَ يخافُونَ أن يفوتَهُم غَداءٌ وعَشاءٌ.

وأصلُ ذلكَ كله قلّةُ التَّدبُّر بآيات الله وصنائعه سُبحانَهُ، وتركُ التَّدبّر بكلام رسول اللهَ صلّى اللهُ عليه [وآله] وسلَّم، وتركُ التَّأمّل لأقوال الصَّالحينَ معَ الاسترسال بوسواس الشَّيطان، والإصغاء إلى كلام الجاهلينَ، والاغترار بعادات الغافلينَ حتّى تَمكَّنَ الشَّيطانُ منهُم ورَسخَت العاداتُ في قُلوبهم، فأدّى ذلكَ إلى ضعف القلب.

وأمّا أولو البصائر والاجتهاد، فلمْ يَعبأُوا بأسباب الأرضِ واعتصَموا

بحبل الله فلمْ يلتفتُوا إلى وسواس الشَّيطان والخلق والنَّفس. فإذا وَسوسَ لهُمُ الشَّيطانُ أو نفسٌ أو إنسانٌ قاموا بالمُدافعة والمُخالفة حتَّى ولّى الخلقُ عنهُم واعتزلَ عنهمُ الشَّيطانُ وانقادتْ لهُمُ النَّفسُ.

يا أخي: إنما قامُوا بتلكَ المُجاهَدات بقوَّة العلم ونُور اليقين، وقدْ علمتَ يا أخي ضمانَ الله لقَوام البِنية بلا سبب، وكذلكَ قوَى الزُّهَّادَ على الأسفار وطَيِّ الليالي والأيَّام، فمنهمْ منْ لمْ يأكُلْ عشرة أيَّام، ومنهُم مَنْ لمْ يأكُلْ شَهراً أو شَهرين وهوَ على قُوَّته.

وأمّا التَّفويضُ فتأمَّلْ فيه أصلَين؛ أحدُهما أنْ تعلَمَ أنّ الاختيارَ لا يَصلُحْ إلاّ لمَنْ كانَ عالماً بالأُمور بجميع جِهاتها ظاهرها وباطنها، حالها وعاقبتها وإلاّ فلا تأمنْ منْ أنْ تَختارَ الفسادَ والهَلاكَ على ما فيه الخيرُ والصَّلاحُ. وهذا العلمُ المُحيطُ لا يصلُحُ إلاّ لربّ العالمينَ.

الثَّاني: لو أنّ رجُلاً قالَ لكَ: إنّي أقومُ لكَ بجميع مصالحكَ، وهوَ عندكَ أعلَم أهلِ زمانكَ وأقواهُم وأصدقُهُم سكَنَ قلبُكَ، فما لكَ إلاّ أنْ تُفوّضَ الأُمورَ إلى رَبّ العالمينَ سُبحانَهُ وهوَ يُدبّرُ الأمرَ منَ السَّماء إلى الأرض، أعلمُ كلّ عالمٍ، وأقدرُ [كل قادر]، وأرحمُ كلّ راحمٍ، وأغنَى كلّ غنيٍّ ليختارَكَ.

وأمّا الرِّضَى بالقضاء، فتأمّلْ فيه أصلَين مُقنعَين؛ أحدُهُما: فراغُ القلب منَ الهَمّ وثواب الله ورضوانه. والثَّاني: ما في السَّخَط منْ عظيم الخَطر والضَّرر، ولقدْ صَدقَ بعضُ السَّلف إذ قيلَ لهُ: ما العُبوديَّةُ والرُّبوبيَّةُ؟ فقالَ: الرَّبّ يقضي والعبدُ يرضَى وإلاّ فما هناكَ رُبوبيَّةٌ ولا عُبوديَّةٌ.

وأمّا الصَّبرُ فإنّهُ دواءٌ وشَربةٌ كريهةٌ مُباركةٌ تجلبُ كُلّ مَنفعة، وتدفعُ عنكَ

كلّ مضرة. وإذا كانَ الدَّواءُ بهذه الصفة، فالعاقلُ يُكرِهُ النَّفسَ على شُربِه.

ثمَّ إنَّ الصَّبرَ أربعةٌ: صبرٌ على الطَّاعة، وصبرٌ عنِ المَعصية، وصَبرٌ عن فضُول الدّنيا، وصَبرٌ عنِ المحَنِ والمَصائب.

واللهُ المسؤول أنْ يُمدّنا بحُسنِ توفيقه، فإنَّ الأمرَ كُلَّهُ بيده وهوَ أرحمُ الرَّاحمينَ ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله العَليِّ العظيم.

بـابٌ

ثمَّ عليكَ يا أخي بالتزام البواعث إلى العبادة وهيَ الخَوفُ والرّجاءُ. فأمَّا الخوفُ إنّما يجبُ التزامُهُ لأمرَين؛ أحدُهما: الزَّجرُ عنِ المَعاصي، والثَّاني: لئلاّ تُعجَبَ بالطَّاعة فتهلك.

وأما الرَّجاءُ فإنَّما يلزمُ لأمرَين؛ أحدُهما البعثُ إلى الطاعات، والثَّاني: ليهَونَ عليكَ احتمالُ الشَّدائد والمَشقّات.

فإنْ قُلتَ: ما الخَوفُ والرَّجاءُ؟

فاعلمْ أنَّ الخَوفَ والرَّجاءَ يرجعانَ إلى قبيلِ الخواطر وليسَ منْ مقدُورِ العَبد. وإنّما المقدورُ للعبد مُقدِّماتُها، فحدُّ الخوف رعدةٌ تحدُثُ في القلب عنْ ظنِّ مَكروه يناله. وحدّ الرَّجاء ابتهاجُ القلبِ بمعرفةِ فضلِ الله سُبحانَهُ وتعالى وسعةِ رَحمته.

ومقدّماتُ الخَوف أربعٌ: ذكرُ الذُّنوب الَّتي مَضتْ، وذكرُ شدّة عذاب الله، وذكرُ ضعفِ نفسكَ، وذكرُ قُدرة الله تَعالى متى شاءَ وكيفَ شاءَ.

ومقدّماتُ الرَّجاء أربعٌ: ذكرُ سوابق فضله إليكَ منْ غيرِ قدَمٍ أو شفيعٍ، وذكرُ ما وعدَ منْ جزيلِ ثوابه دونَ استحقاقكَ إيّاهُ بالفعل، وذكرُ كثرة نعمه

في أمرِ دينكَ ودُنياكَ في الحالِ منْ غيرِ استحقاقٍ أو سُؤالٍ، وذكرُ سَعَةِ رحمةِ اللهِ تعالَى:

يا أخي، والخَوفُ والرَّجاءُ هوَ الطَّريقُ العَدلُ بينَ طريقَينِ مُهلكَينِ، وهما الأمنُ واليأسُ. ثمَّ اعلمْ أنَّ الطَّريقَ لا يصلحُ سُلوكُهُ معَ هذهِ النَّفسِ الجَموحِ الكَسلةِ عنِ الخيرِ إلاَّ بالتَّحفُّظِ بثلاثةِ أُصولٍ أبداً: ذكرُ أقوالهِ سُبحانهُ وتعالى في التَّرغيبِ والتَّرهيبِ، وذكرُ أفعالهِ سبحانَهُ وتعالى في الأخذِ والعفوِ، وذكرُ جزائهِ للعبادِ في المعادِ منَ الثَّوابِ والعقابِ.

الأصلُ الأوَّلُ في أقوالهِ:

من آياتِ التَّرغيبِ قولُهُ تعالَى: ﴿لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾، وقوله: ﴿ومن يغفر الذنوب إلاَّ الله﴾، وقولُهُ: ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾، وقولُهُ: ﴿ورحمتي وسعت كلَّ شيء﴾. فهذهِ ونحوُها آياتُ الرَّجاءِ.

ومنْ آياتِ الخوفِ قولُهُ: ﴿يا عباد فاتقون﴾، وقوله: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾، وقوله: ﴿أيحسب الإنسان أنْ يترك سُدىً﴾ ونحوَ ذلك.

ومنَ الآياتِ الجامعةِ بينَ الخوفِ والرَّجاءِ؛ قولُهُ: ﴿نبِّئْ عبادي أنِّي أنا الغفور الرحيم﴾ ثمَّ قالَ في عقبهِ: ﴿وأنَّ عذابي هو العذاب الأليم﴾، وقولُهُ: ﴿شديد العقاب﴾، ثمَّ قالَ في عقبهِ: ﴿ذي الطَّول لا إله إلاَّ هو﴾، وأعجبُ من ذلكَ قولُهُ: ﴿ويحذِّركم الله نفسه﴾ ثمَّ قالَ في عقبهِ: ﴿والله رؤوف بالعباد﴾، وأعجبُ منهُ قولُهُ: ﴿منْ خشي الرحمن بالغيب﴾، علَّقَ الخشيةَ باسمِ الرَّحمنِ دونَ اسمِ الجبَّارِ والمنتقمِ والمُتكبِّرِ ونحوهِ لتكونَ الخشيةُ معَ ذكرِ الرَّحمةِ.

والأصلُ الثّاني في أفعاله: أمَّا من جنب الخوف، فاذكرْ أمرَ إبليسَ وبلعَمَ؛ وأمَّا منْ جنب الرّجاء، فاذكرْ سحرةَ فرعونَ وأصحابَ الكهف وكلبَهُم.

والأصلُ الثّالثُ في ذكر ما وعدَ وما أوعدَ في المَعاد، نَذكرُ لكَ أحوالاً منْ ذلكَ ليزيدَ خوفُكَ ورجاؤكَ؛ منها المَوتُ والقبرُ والقيامةُ والجنّةُ والنّارُ.

أما الموتُ فاذكرْ حالَ رجُلَين، أحدُهُما: ما رُويَ عن ابن شبرمةَ أنّهُ قالَ: دخلتُ معَ الشّعبيِّ على مريض وهو لما به وعندهُ رجلٌ يلقّنهُ: لا إلهَ إلاّ اللهُ، فتكلّمَ المريضُ إنّي لم أدَعْها، ثمّ قرأ: «وألزَمَهم كلمةَ التّقوى وكانُوا أحقَّ بها وأهلَها»، فقالَ الشّعبيُّ: «الحمدُ لله الّذي نجّى صاحبَنا». والآخرُ حُكيَ أنّ تلميذَ الفُضَيل حضرتْهُ الوفاةُ فدخلَ عليه الفُضيلُ ابنُ عياض وجلسَ عندَ رأسه وقرأ سُورةَ يس، فقالَ: يا أُستاذي لا تقرأ هذه السُّورةَ فسكتَ، ثمّ لقّنهُ فقالَ: قُلْ لا إلهَ إلاّ اللهُ، فقالَ: لا أقولُها لأنّي بَريءٌ منها، وماتَ على ذلكَ. فدخلَ الفُضيلُ منزلَهُ فجعلَ يَبكي أربعينَ يوماً لمْ يخرُجْ منَ البيت، ثمّ رآهُ في النّوم يُسحَبُ إلى جهنّمَ فقالَ: بأيِّ شَيء نزعَ اللهُ المعرفةَ عنكَ وكنتَ أعلمَ تلاميذي؟ فقالَ: بثلاثة أشياء: النّميمةُ، والحَسدُ، وشُربُ الخمر.

وأمّا القبرُ والحالُ بعدَ الموت فاذكرْ حالَ رجُلين أحدُهُما: ذكرَ بعضُ الصّالحينَ قالَ: رأيتُ سُفيانَ الثّوريَّ بعدَ موته في النّوم فقلتُ لهُ: كيفَ حالُكَ يا أبا عبد الله؟ فأعرضَ عنّي وقالَ: ليسَ هذا زمانُ الكُنَى. فقلتُ لَهُ: كيفَ حالُكَ يا أبا عبد الله؟ فأنشدَ يقولُ:

نظرتُ إلى ربِّي عياناً فقالَ لي ... هنيئاً رضائي عنكَ يابن سعيد
لقدْ كُنتَ قوّاماً إذا الليلُ قدْ دَجى ... بعَبرة مُشتاق وقلب عميد
فدونَكْ فاخترْ أيّ قصْر تُريدُهُ ... وزُرني فإنّي عنكَ غيرُ بعيد

والرَّجلُ الثاني الَّذي رُئِيَ مغلولاً بعدَ موته فقيلَ لهُ: ما فُعِلَ بكَ؟ فأنشأ يقولُ:

تولـى زمانٌ لعبْنـا بـه فهذا زَمـانٌ بنـا يَلعَـبُ

وأمّا القيامةُ فتأمَّلْ قوله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾، وأما الجنة والنار فتأمل فيهما آيتين؛ قولُهُ تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾، وقولُهُ: ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون، قال اخسأوا فيها ولا تكلّمون﴾ قالَ يَحيى بنُ معاذ: لا نَدري أيُّ المُصيبتين أعظمُ: فوتُ الجنان أو دخولُ النِّيران. أمّا الجنّةُ فلا صَبرَ عنها، وأمّا النّارُ فلا صبرَ عليها. على كلِّ حال فَوتُ النَّعيم أيسَرُ من مُقاساة الجَحيم.

بـابٌ

ثمَّ عليكَ يا أخي بدفع القَوادح.

القادحُ الأوّلُ: الرِّياءُ ودَفعُهُ بالإخلاص ليكونَ العملُ مَقبولاً.

فإنْ قلتَ: فأخبِرْنا عنْ حقيقة الإخلاص والرِّياء.

فاعلمْ أنَّ الإخلاصَ إخلاصان؛ إخلاصُ العمل، وإخلاصُ طلب الآخرة؛ فأمّا إخلاصُ العَمل فهوَ إرادةُ التَّقرُّب إلى الله عزَّ وجلَّ، وأمّا إخلاصُ طلبِ الآخرة فهوَ إرادةُ نفع الآخرينَ بعملِ الخَير.

قالَ الفُضيلُ: الإخلاصُ دوامُ المُراقبة ونسيانُ الحظوظ كُلِّها، وهذا هوَ البَيانُ الكاملُ، وضدُّ الإخلاص الرِّياءُ وهو إرادةُ نفع الدُّنيا بعملِ الآخرَة.

ثمَّ الرِّياءُ ضَربانِ: رياءٌ محضٌ ورياءُ تخليطٍ، والمحضُ إرادةُ الدُّنيا لا غيرُ. والتَّخليطُ إرادةُ نفعِ الدُّنيا والآخرةِ.

فإنْ قلتَ: فما موضعُ الإخلاصِ، في أيِّ طاعةٍ يقعُ ويجبُ؟

فاعلمْ أنَّ الأعمالَ ثلاثةُ أقسامٍ: العباداتُ الظَّواهرُ، والأعمالُ الباطنةُ، والمُباحاتُ. وفي الأوَّلَينِ إخلاصٌ، وفي الأخيرِ إخلاصُ طلبِ الأجرِ.

فإنْ قلتَ: أكلُّ عملٍ يحتاجُ إلى إخلاصٍ مُفردٍ؟

فاعلمْ أنَّه قد اختُلفَ فيه، فقيلَ إنَّهُ يجبُ لكلِّ عملٍ إخلاصٌ مُفردٌ، وقيلَ يجوزُ تناوُلُ الإخلاصِ لجُملةٍ منَ العباداتِ.

فإن قلتَ: إنْ أرادَ بعمله الخيرَ منَ اللهِ تعالى ولا يُريدُ منَ النَّاسِ شيئاً من مدحةٍ أو سُمعةٍ أو منفعةٍ، أيكونُ ذلكَ رياءً؟

فاعلمْ أنَّ ذلكَ محضُ الرِّياءِ. اعتبارُ الرِّياءِ بالمُرادِ لا بالَّذي يُريدُ منهُ، فإنْ كانَ مُرادُكَ منْ عملِ الخيرِ نفعاً دُنيوياً، فإنَّه رياءٌ سواءٌ كانَ منَ اللهِ تعالى أو منَ النَّاسِ.

فإنْ قلتَ: إذا كانَ القَصدُ في الدُّنيا الَّتي يُريدُها منَ اللهِ تعالى لتعفُّفٍ عنِ النَّاسِ والعدَّةُ على عبادةِ اللهِ تعالى، أيكونُ ذلكَ رياءً؟

فاعلمْ أنَّ ذلكَ وما يتَّصلُ بأمرِ الآخرةِ لا رياءَ فيه، وكذلكَ إنْ أردتَ أنْ يكونَ لكَ تعظيمٌ عندَ النَّاسِ ومحبَّةٌ عندَ المَشايخِ والأئمَّةِ، أو يكونُ قصدُكَ في ذلكَ التَّمكُّنَ من تأييدِ مذهبِ الحقِّ والرَّدِّ على أهلِ البِدَعِ، والنَّشرَ للعلمِ، أو حضَّ النَّاسِ على العبادةِ دونَ أن تقصدَ شرفَ نفسكَ منْ حيثُ هيَ، أو دُنياً لها؛ فإنَّ هذه كلَّها نيَّاتٌ محمودةٌ لا يدخلُ شيءٌ منها في بابِ الرِّياءِ، إذِ المقصودُ منها أمرُ الآخرةِ بالحقيقةِ.

والفادحُ الثّاني العُجْبُ

وإنّما يلزمُكَ اجتنابُهُ لأمرَين؛ أحدُهما: أنّه يحجُبُ عنِ التّوفيقِ. والثّاني: أنّهُ يفسدُ العَملَ الصّالحَ بشَيءٍ دونَ الله عزّ وجلّ.

وضدُّ العُجْبِ ذكرُ المنّة وهوَ أنْ يذكرَ أنّهُ بتوفيقِ الله سُبحانَهُ وأنّهُ الّذي شرّفهُ وعظّمَ ثوابَهُ وقدرَهُ، وهذا الذّكرُ فرضٌ عندَ دواعي العُجبِ ونَفْلٌ في سائرِ الأوقات.

ثمّ اعلمْ أنّ النّاسَ في العُجبِ على ثلاثةِ أصناف: صنفٌ همُ المُعجَبونَ بكلّ حالٍ وهمُ المُعتزلةُ والقدريّةُ. وصنفٌ همُ الذّاكرونَ (المنّةَ) بكلّ حالٍ وهمُ المُستقيمونَ لا يُعجَبونَ بشَيءٍ منَ الأعمالِ. والثّالثُ همُ المُخلّطونَ وهمُ العامّةُ أهلُ السُّنّةِ ينتبهُون تارةً ويغفُلونَ تارةً.

وأمّا الباعثُ على تركِ الرّياءِ فهوَ أن تذكرَ قولَ الله سُبحانه وتعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير وأنّ الله قد أحاطَ بكلّ شيءٍ علماً﴾. كأنّ اللهَ سبحانَه وتعالى يقولُ: «إنّي خلقتُ السّماواتِ والأرضَ وما بينَهما، واكتفيتُ بنظرِكَ لتعلَمَ أنّي عالمٌ قادرٌ وأنتَ تُصلّي ركعتَين مع ما فيهما منَ المَعائبِ والتّقصيرِ فلا تكتفِ بنظري إليكَ وبعلْمي بكَ وثنائي عليكَ وشُكري لكَ حتّى تُحبَّ أنْ يعلَمَ الخلقُ ليمدَحُوكَ بذلكَ ويُحبُّوكَ، أفلا تعقلُ؟!».

ثمّ اذكُرْ هلْ مَنْ كانَ لهُ جوهرٌ نفيسٌ يُمكنُهُ أنْ يأخذَ ألفَ ألفِ دينارٍ فباعَهُ بفلسٍ، أليسَ يكونُ ذلكَ خُسراناً عظيماً؟! ورضوانُ الله أكبرُ، إذْ رضوانُ الله أفضلُ منَ الدّنيا والآخرةِ وما فيهما.

ثمَّ اذكُرْ أنَّ المخلوقَ الَّذي لأجله تَعمَلُ، لو علِمَ أنَّكَ تعملُ لأجله لأبغضَكَ، ثمَّ إنْ كنتَ لا تفعلُ لله وقَصدتَ بعمَلِكَ رضَى المَخلوقينَ. فإنَّ اللهَ يصرفُ عنكَ قُلوبَهُمْ وينفِّرُ عنكَ نفوسَهُم فيحصَلُ لكَ بهَذا الأمرِ سَخطُ الله تَعالى وسخطُ النَّاسِ جَميعاً.

وأمَّا الباعثُ على ترك العُجب، فهوَ أنْ تذكرَ أنَّ فعلَ العبدِ إنَّما صارتْ لهُ قيمةٌ لَمَّا وقعَ منَ الله تَعالى موضعَ الرِّضا والقَبول، وإلاَّ فأنتَ تَرى الأجيرَ يعملُ طولَ النَّهار بدرهَمين، ولو قمتَ ليلةً لله تعالى لأعطاكَ ما لا يخطُرُ ببالكَ، بل لوْ جعلتَ لله ساعةً تُصلّي فيها ركعتَين خَفيفتين، بل نَفَساً واحداً لأعطاكَ ذلكَ.

ثمَّ اذكرْ أنَّ المَلكَ في الدّنيا إذا أعطَى أحداً كسوةً أو طَعاماً يستخدمُهُ بضُروبِ الخدمة، وربَّما يبذُلُ المُعطي روحَهُ إذا اعترضَ للمَلكِ عَدُوٌّ.

ثمَّ اذكرْ مَنْ كانَ الأنبياءُ والملائكةُ والأولياءُ يخرّونَ لهُ على الأذقان. إذا أذنَ للحقيرِ أن يدخُلَ مع هؤلاء في الخدمة لينالَ الحقيرُ العنايةَ لهُ في باب، أيستعظمُ الحقيرُ خدمَتَهُ؟

يا أخي: اكتمْ حسناتكَ كما تكتُمُ سيئاتكَ. فإنْ أردتَ الوُصولَ إلى الله فعليكَ بالذِّلَّة والافتقارِ وإلزامِ البابِ بالتَّضرّعِ والبُكاءِ آناءَ اللَّيلِ وأطرافَ النَّهار. فاستعنْ بالله فإنَّهُ خيرُ مُعين، لا نجاةَ منْ هذا الأمرِ إلاّ برحمته وهوَ أرحمُ الرَّاحمينَ، ولاَ حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله العَليِّ العظيم.

بابٌ

ثمَّ عليكَ يا أخي بعدَ الظَّفَرِ بالمقصودِ منْ هذه العبادات، السَّالمة منَ

الآفات، بالحمد والشُّكر لأمرين؛ أحدُهما: لدوام النِّعمة، والثَّاني لحُصول الزِّيادة.

فأمّا دوامُ النِّعمة فلأنَّ الشُّكرَ قيدُ النِّعَم، وبه تدومُ، وبتركه تزولُ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿إنّ الله لا يغيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم﴾.

وأمّا حُصولُ الزِّيادة فلقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾.

ثمَّ إنّ النِّعمَ قسمان: دُنيويّةٌ ودينيّةٌ، فالدُّنيويّةُ ضَربان: نعمةُ نفعٍ، ونعمةُ دفعٍ. فنعمةُ النَّفعِ أنْ أعطاكَ المَصالحَ والمَنافعُ ضَربان: الخِلقةُ السَّويّةُ في سلامتها وعافيتها وما تتلذَّذُ به منَ المَطعمَ والمَشربِ والمَلبسِ والمَنكحِ وغيرها.

ونعمةُ الدَّفعِ أنْ صَرَفَ عنكَ المَفاسدَ والمَضارَّ وهوَ ضَربان؛ أحدُهما: بالنَّفس بأنْ سلَّمكَ من زَمانتها وسائر آفاتها وعلَلها. والثَّاني: دفعُ ما يلحقُكَ منْ ضَررٍ منْ أنواعِ العَوائقِ أو مَنْ يقصدُكَ بسُوءٍ منْ إنسٍ وجنٍّ وسباعٍ وهَوامٍّ ونَحوها.

وأمّا النِّعمُ الدِّينيّةُ فضَربان: نعمةُ التَّوفيق، ونعمةُ العصمَة. فنعمَةُ التَّوفيق أنْ وفَّقَكَ أوّلاً عن الكُفر والشِّرْك وعنِ البدعة والضَّلالة وعن سائر المَعاصي. وتفسيرُ ذلكَ لا يحصيه إلاّ السَّيّدُ العالمُ الَّذي أنعمَ عليكَ، كما قالَ جلَّ وعلا: ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾.

وإنّ دوامَ هذه النِّعمة كلِّها منْ كُلِّ باب، منها ما يبلُغُهُ وهمُك متعلِّقٌ بشيءٍ واحدٍ وهو الشُّكرُ والحَمدُ. وإنّ خَصلةً يكونُ لها كلّ هذه القيمة ويكونُ فيها كلّ هذه الفَوائدُ لَحَقيقٌ أنْ يُتمسَّكَ بها من غير إغفالٍ بحالٍ، فإنَّهُ جَوهرٌ ثَمينٌ، واللهُ وليّ التَّوفيق بفَضله.

فإنْ قلتَ: فما حقيقةُ الحمدِ والشُكرِ؟

فاعلمْ أنّ العُلماءَ فرّقوا بينَهُما، بأنّ الحمدَ منْ أشكالِ التّسبيحِ والتّهليلِ. وأمّا الشُكرُ فهوَ الطّاعةُ بجميعِ الجوارحِ لربّ الخلائقِ.

فإنْ قلتَ: فما موضعُ الشُكرِ؟

فاعلمْ أنّ موضعَهُ النّعمُ، ثمّ النّعمُ دينيّةٌ ودُنيويّةٌ.

وأمّا الشّدائدُ والمصائبُ في الدُنيا في نفسٍ أو أهلٍ أو مالٍ، هلْ يلزمُ الشُكرُ عليها؟ فقولان: قولٌ لا يلزم إلاّ الشدّةَ في جنبها نعم الله تعالى، فيلزمُ الشُكرُ على تلكَ النّعمِ المقرونةِ بها دونَ تلكَ الشّدّةِ، وقولٌ يلزمُ؛ لأنّ تلكَ الشّدائدَ ليستْ بحقيقةٍ بدليلِ ما تجرُّ منَ المنافعِ كالدّواءِ الكريهِ لعلّةٍ مخُوفةٍ، فيؤدّي إلى سلامةِ البدنِ.

فإنْ قلتَ: فالشّاكرُ أفضلُ أم الصّابرُ؟

فاعلمْ أنّهُ قدْ قيلَ: إنّ الشّاكرَ أفضلُ؛ بدليلِ قولهِ تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ وجعلَهُم أخصَّ الخواصِ.

وقيلَ: بلِ الصّابرُ أفضلُ لأنّهُ أعظمُ مشقّةً، فيكونُ أعظمَ ثواباً وأرفعَ منزلةً؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾.

قالَ الغزاليّ: إنّ الشّاكرَ بالحقيقةِ لا يكونُ إلاّ صابراً، والصّابرُ بالحقيقةِ لا يكونُ إلاّ شاكراً.

ثمّ تأمّلْ أصلَين؛ أحدُهما: أنّ النّعمةَ إنّما تُعطَى مَنْ يعرفُ قدرَها، وإنّما يعرفُ قدرَها الشّاكرُ. والثّاني: أنّ النّعمةَ إنّما تُسلَبُ ممّن لا يعرفُ قدرَها الّذي كفرَها، ولا يؤدّي شُكرَها.

عليكَ ببذل المجهود حتّى تعرفَ قدرَ النّعم، إذا أنعمَ اللهُ عليكَ بنعمة في الدّين. وإيّاكَ أنْ تلتفتَ إلى الدّنيا وحُطامها، فاعلمْ بالحقيقة أنّك لو خُلقتَ من أوّل الدّنيا وأخذتَ في شُكر الإسلام منْ أوّل الوقت إلى الأبد لما كُنتَ تقومُ بذلكَ، لكنْ عليكَ ببذل المجهود قدرَ طاقتكَ. يا أخي إنّ الأمرَ يسيرٌ على مَنْ يسَّرَ اللهُ عليه، وعلى العبد الاجتهادُ، وعلى الله الهدايةُ؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين﴾.

يا أخي كراماتُكَ إنْ سلكْتَ هذا الطّريقَ وخَدَمتَهُ أربعونَ: عشرونَ في الدُّنيا، وعشرونَ في العُقْبى.

وأمّا الّتي في الدُّنيا؛ الأُولى: فذكرُ الله لكَ بثنائه، والثّانيةُ: شُكرُهُ لكَ، الثّالثةُ: حبّهُ لكَ، الرّابعةُ: كونُهُ وكيلَكَ، الخامسةُ: كونُهُ لرزقكَ كفيلاً، السّادسةُ: كونُهُ لكَ نصيراً، السّابعةُ: كونُهُ لكَ أنيساً، الثّامنةُ: عزّ النّفس لا يلحقُكَ ذُلٌّ، التّاسعةُ: رفعُ الهمّة، العاشرةُ: غنى القلب، الحاديةَ عشرةَ: اهتداءُ القلب بنوره إلى عُلوم وأسْرار، والثّانيةَ عشْرةَ: شرحُ الصّدر لا يَضيقُ بشيء منْ محَن الدّنيا، والثّالثةَ عشْرةَ: المهابةُ، الرّابعةَ عشرةَ: المحبّةُ في القُلوب، والخامسةَ عشرةَ: البركةُ العامّةُ، يتبرّكُ بتراب وطئتَ وبمكان جَلستَ فيه يَوماً وبإنسان صَحبتَ، والسّادسةَ عشرةَ: تَسخيرُ الأرض منَ البرّ والبحر حتّى إنْ شئتَ سرتَ في الهواء ومَشيتَ على الماء، وقطعتَ وجهَ الأرض في ساعة. والسّابعةَ عَشرةَ: تسخيرُ الحيوان منَ السّباع والوحش والهَوامّ وغيرها، الثّامنةَ عشرةَ: لا تَسألُ اللهَ شيئاً إلاّ أعطاكَ، والتّاسعةَ عشرةَ: القيادةُ والوجاهةُ على باب رَبّ العزّة، فيبتغي الخلقُ الوسيلةَ إلى الله تعالى

بخدمتك، وتنجحُ الحاجةُ إلى الله تَعالى بوجاهتكَ وبركتكَ، وتمامُ العشرينَ: إجابةُ الدَّعوة منَ الله تَعالى، ولوْ خطرَ ببالكَ شَيءٌ لحضَرَكَ؛ وهذه كراماتُكَ في الدُّنيا.

وأمَّا الَّتي في العُقْبَى: الحادِيَةُ والعشرونَ: أنْ يهوِّنَ عليكَ سكرات الموت، والثَّانيةُ والعشرونَ : تثبيت الإيمان ، والثالثة والعشرون : خروج الروح بالبشرى ، والرابعة والعشرون : الخُلودُ في الجنان، والخامسةُ والعشرونَ: الحياةُ في السِّرِّ لرُوحكَ وليدنكَ بتعظيم جنازتكَ، والسَّادسةُ والعشرونَ: الأمانُ من فتنة سُؤال القبر وتلقينُ الصَّواب، والسَّابعةُ والعشرونَ: توسيعُ القبر وتنويرُهُ، والثَّامنةُ والعشرونَ: إيناسُ رُوحك ونَسَمَتكَ وإكرامُها، وكونُكَ معَ الإخوان الصَّالحينَ، والتَّاسعةُ والعشرونَ: الحَشرُ في العزِّ والكرامة تخرُجُ منْ قَبركَ فإذا الملائكةُ تتلقَّاكَ بحُلَلٍ وتاجٍ، وتمامُ الثَّلاثينَ: بياضُ الوجه، الحاديةُ والثَّلاثونَ: الأمنُ منْ أهوال يوم القيامة، الثَّانيةُ والثَّلاثونَ: أخذُ الكتاب باليَمينَ، والثَّالثةُ والثَّلاثونَ: تيسُّرُ الحساب، والرَّابعةُ والثَّلاثونَ: ثقلُ الميزان، والخامسةُ والثَّلاثونَ : ورد الحوض على النبي صلى الله وعليه وآله وسلم ، والسادسة والثلاثون : جوازُ الصِّراط، والسَّابعةُ والثَّلاثونَ: الشَّفاعةُ، والثَّامنةُ والثَّلاثونَ: مُلكُ الأبد في الجنَّة، والتَّاسعةُ والثَّلاثونَ: الرِّضوانُ الأكبرُ، وتمامُ الأربعينَ: لقاءُ ربِّ العالمينَ، إلهُ الأوَّلينَ والآخَرينَ بلا كَيفٍ جلَّ جلالُهُ. فهذه كرامتُكَ في العُقبَى.

وبتمامها تمَّ الكتابُ الَّذي لخصتُهُ منْ أسرارِ كلامِ أبي حامد الغزاليِّ رحمَهُ اللهُ تعالى وأفاضَ لَنا منْ بَركاته.

الحمدُ لله بجميع محامده كلِّها، ما علمتُ منها وما لمْ أعلمْ، على نعمه كلِّها ما علمتُ منها وما لمْ أعلمْ.

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِكْ على سيِّدنا محمَّد وآله وأزواجه وذريَّاته صلاةً وسلاماً وبركةً لا نهايةَ لها كما لا نهاية لكماله. الصَّلاةُ والسَّلامُ على مَن لا نبيَّ بعدَهُ.

الحمــدُ لله ربِّ العالمـيـن